Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 1 | No. 1 | Page 82 – 106 | 2024 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

مفهوم التغير والتغيير والفرق والعلاقة بينهما ودلالتهما في خلق الإنسان على التوحيد

The concept of change and modification and the difference and the relationship between them and their significance in the creation of man on monotheism

عبدالمنعم ياسين الشرجبي

باحث –كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة صنعاء ـ اليمن

Abdulmaneem Yaseen Al-Shargabi

Researcher - Faculty of Arts & Humanities Sciences Law
Sana'a University - Yemen

الملخص:

سلط الباحث في هذه الدراسة جهده في إخراج مفهوم (التغيير) وكذا (التَغيُر) إلى الضوء؛ بصياغة جيدة – كما يظنها الباحث – تتناسب وتراكيب الجذر اللغوي بكل تصاريفه في أصل الاشتقاق اللغوي لكل منهما. وهو الأمر الذي مكَّن الباحث من إيجاد نقاط التقاء بينهما – (العلاقة) – وكذا الافتراق، بعد أن خاض بينهما البعض – ممن كتب في هذا الفن – وكذا لم يفرّق بينهما البعض الآخر؛ فجعلوهما شيئاً واحداً. ثم أسقط الباحث كل هذه المعطيات بتفاصيلها وحيثياتها الدقيقة على مبدأ (بقاء الحال في الإنسان من المحال) في خلقه ونشأته ومراحل تطوره (نموه)، كصورة من صور التغيير والتغير الكائنة فيه، لا غنى له عنها في الحفاظ على بقائه لأجل مسمًى عنده سبحانه، وهي الصورة الدالة ضرورة على عوزه وافتقاره للسنة الإلهية (التغيير والتغير) التي قدرها الله فيه، ولولاها لما كان له في هذا الوجودِ وجوداً. ثم وجه الباحث تجلِّي هذه الصورة في الجُرم الكوني الصغير (الإنسان) في الدلالة على وحدانية الله تعالى الذي قام بنفسه؛ إذ كان الله ولم يكن شيئاً معه، وكان الله ولم يكن شيئاً قبله، دون حاجته وعوزه وافتقاره لهذه السُنة التي قام بها الإنسان، فهو سبحانه يُغيِّر ولا يتغيَّر، يُفني ولا يُفْنَى، يُهلك، ولا يُهلَّك.

الكلمات المفتاحية: الكون، الإنسان، التغيير والتغير.

Abstract:

In this study, the researcher discussed his efforts to bring the concept of (change) and (Modification) to light. In a good formulation - as the researcher thinks it is - the compositions of the linguistic root in all its conjugations are proportional to the origin of the linguistic derivation of each of them. This is what enabled the researcher to find points of convergence between them - (Relationship) - as well as separation, after he fought between them some - who wrote in this art - and others did not differentiate between them; They made them one thing.Then the researcher projected all these data, with their details and exact reasons, on the principle (the survival of the state in man is impossible) in his creation, his upbringing, and the stages of his development (Growth), as a form of change and change existing in him, which is indispensable for him in preserving his survival for a specified term with Him, Glory be to Him, which is The image indicating the necessity of his need and lack of the divine Sunnah (change and change) that God decreed in him, and if it were not for it, he would not have existed in this existence.Then the researcher directed the manifestation of this image in the small cosmic body (man) as an indication of the oneness of God Almighty who rose by himself. Since God was and was nothing with Him, and God was and was nothing before Him, without His need, want, and lack of this Sunnah that man has established, then He, Glory be to Him, changes and does not change, annihilates and does not perish, perishes and does not perish.

Keywords: The universe, man, change and change.

المقدمة:

ان الحمد لله نحمده تعالى ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادية له ونصلي ونسلم على الهادي البشير وآلة وصحبه. أما بعد ...

فهل بقي من شك في أن من أهم الطُرق الموصلة إلى العلم؛ معرفة اصطلاحات أهله ([1])؟ وهل بقي من شك في أن المصطلح هو اللبنة الأولى من كل علم؟ بل هو مدار كل علم، به يبدأ وإليه ينتهي، وإنما:

[1] ()إلى مثل هذا أشار الامام أبو اسحاق الشاطبي، ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت:790) في كتابه: الموافقات في أصول الشريعة:53/1 في القسم الأول. تحت "المقدمة: الثانية عشر".

"المصطلح– كائناً ما كان– إما واصف لعلم كان، أو ناقل لعلم كائن، أو مؤسس لعلم سيكون"([2])، وما القواعد والمناهج ولا القضايا والاشكالات إلاَّ آباراً لعلم، وإنما المصطلحات دلاؤها، وهل من سبيل إلى الماء الغور بغير دلاء؟، بل لك أن تقول: إن العلوم ماهيات وجواهر مجرَّدات، والمصطلحات مادتها وصُورها، فكأن تلك نفوس، وهذه جسوم، ومن ذا قدير على إدراك النفوس وأحوالها دون الاحتكاك بجسومها؟ ([3]). وأنه إذا كان: "من العلم ما هو من صُلب العلم، ومنه ما هو مُلَح العلم لا من صُلبه، ومنه ما ليس من صلبه ولا من مُلَحه"([4])؛ فإن المصطلحات هي فِقَرات ذلك الصُّلب، وإن شئت فجرِّد علماً –أي علمٍ– من مصطلحاته فماذا بقي بعد ذلك من العلم؟

ولا شك أن الوحي نسق من المفاهيم التي لا سبيل لفهمها إلاَّ بدراسة ألفاظ ومصطلحات القرآن الكريم.

فالدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم هي مفتاح الوصول إلى ما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم.

وتطلق الدراسة المصطلحية ويراد بها: "البحث في المصطلح القرآني لمعرفة واقعه الدلالي من حيث مفهومه وخصائصه المكوِّنة له وفروعه –أي: اشتقاقاته– الصادرة عنه ضمن مجاله العلمي المدروس به"([5]) .

وبصُورة أكثر وضوحاً: "هي استخراج اصطلاحات نص من نصوص علمٍ ما، وتحليل استعمالاتها ثم تعليل معانيها وتصنيفها بحسب شواهد النص نفسه من أجل تعريف المفاهيم التي تدل عليه تلك المصطلحات"([6]).

وجامع التعريفين: أن الدراسة المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم، هي: إحصاء المصطلح شكلاً وحجماً واشتقاقاً وجرد التراكيب التي ورد ضمنها هذا المصطلح مع تعداد القضايا المندرجة تحت مفهومه.

ومن المصطلحات التي تعدَّد ذكرها في القرآن الكريم هو مصطلح "التغيير"([7]). والذي بدراسته الدراسة المصطلحية سيعين كثيراً في فهم النسق القرآني من خلال دراسة هذا اللفظ وباقي ألفاظ الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ.

ومن خلال الاستقراء تبين أن ثمة اختلاف وتباين في تحديد مفهوم التغيير وتوجيه معناه عند الكثير من المتأخرِّين ممن كتبوا في ذلك خصوصاً عند تمييزه عمن يشابهه في شكله وبعض مفهومه وهو مصطلح "التغيُّر" –بياءٍ واحدة– وسأعرض جانباً من هذا التباين، ثم إبداء الرأي في ذلك، ثم أذكر المفهوم الذي تميل إليه النفس في مصطلح "التغيُّر" و"التغيير" وما الفرق بينهما وعلاقة كل منهما بالآخر؟؟

أهداف البحث وأسباب اختياره:

1- لم أقف حتى الآن – والعلم عند الله – على دراسة تحليلية أكاديمية للآيات والأخبار والآثار والأفكار المتعلقة بموضوع التغيير والتغير.
2- المحاولة للخروج بمفهوم صحيح لمسمى "التغيير" ـبياءين ـ و"التغيُّر" ـبياء واحدة مضعَّفة ـ والتفريق بينهما؛ وذلك بعد أن خلط بينهما الكثير من المتأخرين. فكان لأجل ذلك التنصيص على

[2] ()انظر: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهلين والإسلاميين. قضايا ونماذج:7.
[3] ()انظر: المصطلح الأصولي عند الشاطبي: 11/1.
[4] ()انظر: الموافقات: 845/1.
[5] ()انظر: المصطلح الأصولي عند الشاطبي: 65/1.
[6] ()انظر: ورقة عمل الاستاذ: إدريس الفاسي الفهري: 235.
[7] ()تكرر ذكره في خمس مواضع في القرآن الكريم. الأول: "يُغَيِّرُنَّ" في سورة النساء: 119. الثاني: "يُغَيِّرُ" سورة الرعد:11. الثالث والرابع: "يُغَيِّروا" تكرر في سورة الأنفال:53 والرعد:11. الخامس: "يَتَغَيَّرْ" سورة محمد: 15.

هذا السبب من الأهمية بمكان، كما يظن الباحث؛ لعلاقة ذلك بماهية الفعلين ومآلاهما.

منهج البحث:

1- جمعت كل ما وقفت عليه مما له صلة بالموضوع من الآيات والأحاديث – والآثار – وأقوال الرجال من المفسرين واللغويين والمحدثين والفقهاء والأصوليين والمؤرخين وآراء أهل الاختصاص الموثوقين في العلوم الاجتماعية والنفسية المتقدمين والمتأخرين، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

2- أنزلت أقوال المذكورين أو بعضهم على المباحث والمطالب كلٌ بما يناسبه من ذلك.

3- ثم أعملت فكري في توجيه هذه الأقوال على قدر فهمي؛ وذلك بعد الاستعانة بأقوال أهل الاختصاص من المذكورين في كل الفنون.

4- ذكرت الخلاصة أو الفائدة كلما توفر الإمكان لذلك سواء على بعض المباحث أو المطالب وذلك بعد مناقشة الأقوال المتوافقة أو المخالفة إن وجدت.

5- عزوت الآيات إلى مواضعها في القرآن الكريم، وكذا الأخبار، وأقوال الرجال إلى مظانّها في الأمهات والمراجع، وتخريج وتحقيق بعض الأخبار والآثار عند الحاجة إلى ذلك بما يفيد الموضوع من جهة التثبُّت.

6- ذكرت اسم المصدر فقط في أصل البحث مع اسم صاحبه حال الشبه في اسم المصدر. وأَحَلْت بباقي المعلومات حول المصدر إلى فهرس المصادر والمراجع.

تقسيم البحث:

- قسم الباحث البحث إلى مقدمة، ومبحثين، وخاتمة على النحو الآتي:
- المبحث الأول: مفهوم التغيُّر والتغيير والفرق بينهما. وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: توجيه المفهوم من التغيُّر والتغيير.
- المطلب الثاني: الفرق بين التغيُّر والتغيير.
- المبحث الثاني: العلاقة بين التغيُّر والتغيير ودلالتهما على التوحيد. وفيه مطلبان.
- المطلب الأول: العلاقة بين التغيُّر والتغيير.
- المطلب الثاني: دلالة التغيُّر والتغيير الكوني على وحدانية الله تعالى.

المبحث الأول

مفهوم التغيُّر والتغيير والفرق بينهما.

المطلب الأول

الفرق بين التغيُّر والتغيير

قد سبقت الإشارة إلى بعض الفوارق بينهما وهي مُفرَّقة بين الأسطر، سأحاول جمعها هاهنا، وقد قسمتها على النحو الآتي:

1] من الجانب الاشتقاقي: فإن لفظ "التغيُّر": مصدر أشْتُقَّ من الفعل الخماسي "تغيَّر". تغيَّر يتغيَّر تغيُّراً، فهو مُغيَّر، –بالفتح – وجمع التغيُّر: "تغيُّرات". وهذا يعني: أن لفظ "مُتغيِّر" صفة للذات المتغيِّرة، أي: المطاوعة القابلة للتغيُّر بالفعل "غيَّر".

أما لفظ "التغيير": فهو مصدر اشْتُقَّ من الفعل الرباعي "غيَّر". غيَّر يغيِّر تغييراً، فهو مُغيِّر، –بالخفض– وجمع "التغيير": تغييرات. وهذا يعني: أن لفظ "مُغيِّر": اسم فاعل. صفة للذات القائمة بفعل التغيير. خلافاً للفظ "مُتغيِّر" في الاشتقاق السابق فهو: صفة للذات القابلة للتغيُّر بالفعل "غيَّر" وهو الفعل الذي اشْتُقَّ منه المصدر "التغيير".

ومن هنا بات الفرق واضحاً بينهما من هذا الجانب في الحالين الإفراد والجمع، فتأمل.

2] من الجانب الاصطلاحي: يمكن ترتيب الفوارق بينهما من هذا الجانب على النحو الآتي:

أ– في "التغيُّر" يحصل انتقال من حالة إلى حالة أخرى مغايرة للذات الأولى، وهذا الانتقال له صُور:

- انتقال على غير العادة. ولهذا هو يلفت الانتباه إلى حصول التغيُّر. ككسوف الشمس وخسوف القمر، وامتناع النار عن الإحراق، والشفرة عن القطع، وغير ذلك من الانتقال الى غير المعتاد.
- انتقال على العادة، أي: ثابت وموزون ومتكرّر على الدوام. كالانتقال من الليل إلى النهار، ومن الصيف إلى الشتاء وانتقال المادة من الحالة السائلة إلى الصلبة، وغير ذلك.
- انتقال تلقائي لا شعوري لا إرادي. أي: من غير إضافة خارجية[8].(*)
- انتقال سريع الحدوث محدود الزمن كالكوارث الطبيعية "براكين– زلازل...

وأنت ترى أن كل ذلك حاصل في الظواهر الكونية والطبيعية والتي لا إضافة خارجية في حدوثها، لأجل ذلك عددٌ كثيرٌ من أهل الاختصاص في هذا الباب خصُّوا التغيُّر في ذلك دون التغيير.

والتغيُّر الاجتماعي له ما لعموم التغيُّر من الصُور المذكورة مع زيادة التدرُّج في حدوثه على مراحل[9](*)، لهذا هم يصفونه بغير الملحوظ لتدرُّجه.(10)

والمقصود بالتغيُّر الاجتماعي: هو وصف للتغيُّر الحاصل في عادات المجتمع وأخلاقياته وتقاليده، وما يأتي بمعنى ذلك في حركة المجتمع، فهذا يحدث بصورة متدّرجة بطيئة بطئاً يمنع ملاحظتها خلافاً للتغير الكوني الذي يحدث كما سبقت الإشارة الى ذلك، فكل التغيرات الاجتماعية تأتي من غير مقدِّمات سواء في العادات أو الأعراف أو أخلاقيات المجتمع، ثم يأتي من بعده تغيير يعزّزه، أو يُشذِّبه يُهذبه، أو يرفضه، وسيأتي زيادة بيان لذلك عند الكلام عن العلاقة بين التغيُّر والتغيير.

ب] أما في "التغيير": فهناك "إحداث" والذي هو على وزن "إفعال" الموحي بالعمل الخارجي: "الإضافة" تلك المنعدمة في "التغيُّر" لذا هم وصفوه –أقصد التغيير– بالآلية الشُّعورية الإرادية خلافاً للتلقائية في "التغيُّر"، كما سبقت الإشارة بذلك. وبهذا يكون التغيير أحوج إلى مزيد من الوقت وطول بال لاستوائه، خلافاً للانتقال الكوني الذي يكون سريعاً وموقوتاً في "التغيُّر". وفرَّق بعضهم بين التغيُّر والتغيير، فقال: (إن "التغيير" هو شيء مُخطط ومدروس. أما "التغيُّر": فكأنه شيء قسري أو حتمي يقع دون إرادة من الإنسان،....).(11)

وعند الحديث عن العلاقة بينهما سنطَّلع على تبعية التغيير للتغيُّر في فلكٍ على هذا النمط يسَبْحَان لا ينبغي له أن يدرك "التغيُّر" ولا هو له سابق؛ لأن المُغيِّر يُهذِّب ويُعدِّل ويهيئ في صفات الذات بعد تغيُّرها؛ لذا هم وصفوا المُغيِّر بالمُحْدِث شيء في

[8](*) وفي توضيح طبيعة الانتقال في هذه الصُّورة من أنه خاص بالتغيُّر الكوني، فحسب كحركة النجوم والكواكب ودورانها وتعاقب الليل والنهار، والتغيُّر المناخي، وغيرها من الظواهر الطبيعية في سماء الله تعالى وأرضه، فصورة هذا الانتقال تلقائي لا إرادة فيه لمخلوق.

[9](*) التنصيص على التَّدرُّج في التغيُّر الاجتماعي هو من باب التغليب، وإلا فهو موجود في بعض أنواع التغيُّر الطبيعي الكوني كتحوُّل المادة من السائلة إلى الصلبة، والانتقال من الظلام إلى النهار وطلوع الشمس، وغير ذلك مما يكون انتقاله تدرجاً عبر مراحل.

[10]() انظر: التغيير –مفهومة، وأسبابه، وأهدافه، وقادته، ومقاومته: 2 .

[11]() قاله الاستاذ الدكتور/ سلمان بن فهد العودة، في كتابه: التغيير لا يعني الجور على المبادئ الأساسية والأسس الجوهرية:4.

صورة الشيء دون ذاته كتهذيب الشكل أو الأخلاق أو العادات أو المعاملات مع بقاء الذوات دون انتقالها إلى ذوات مغايرة كما هو حاصل في "التغُّير".

وامتناع الانتقال إلى ذوات مغايرة في التغيير لا يمنع حدوث "الانتقال" كصفة تجمع بينه وبين "التغيُّر". فإن كان في "التغيُّر" يحدث تبدُّل وتحوُّل، فهو في "التغيير" تبديل وتحويل، وكل ذلك انتقال دون شك من جهة الانتقال إلى غير المألوف، ثم بعد ذلك إما ذهاباً به إلى لفت الانتباه أو غيرها من صور "التغيُّر" وإما ذهاباً به إلى الرياضة والترويض والتهذيب كالحال في "التغيير" بصرف النظر عن سلامة اتجاهه أو فساده.

وأصحاب الاختصاص في هذا الباب يتحدثون عن عنصر "المقاومة" لأي تغيير أو تغيُّر اجتماعي حاصل في العادات أو المعاملات[12] . لا لشيء سُوى أنه انتقال لغير المألوف حتى ولو كان فيه المصلحة، ولو لم تكن –أقصد: المصلحة– هكذا رجماً بالغيب يبدون مقاومة لمناصري التغييرة، فالمرء عدو ما يجهل، والخوف من المجهول منطقي ومقبول؛ بدليل الاستقرار –في أيٍّ من جوانبه– لمراحل ما قبل التغيُّر، والتغيير والاضطراب بعدها، وهذا معقول عال لكنه تأبيد خالٍ من روح المبادرة والبحث عن الأفضل وهذا هو المطلوب شرعاً وإنساناً.

المبحث الثاني

العلاقة بين الَتغيَّر والتغييرُ ودلالتهما الكونية على التوحيد

المطلب الأول

العلاقة بين التغيُّر والتغيير

إن المتأمل في تاريخ المجتمع الإنساني، وكذا فيما أحاط به من هذا الكون العظيم يجد كل ذلك يدور رحاؤه بين عملتي التغيُّر والتغيير. فأيُّ تغيُّر يحدث في البيئة الاجتماعية، أي: من الجانب القِيَمِي والأخلاقي أو العادات والأعراف، أو أي تغيُّر فيما أحاط بهذا الإنسان من أحوال الطبيعة، لابد أن يَتْبع ذلك عملية تغيير، فعلاقة التغيير إذن بالتغيُّر، هي: علاقة تبعية يتبع فيها التغيير التغيُّر، والأمثلة مما لا تُحْصى كثرة في ذلك سَوَآء من الجانب الاجتماعي، أو الكوني وأحوال الطبيعة.

وقد سبقت الإشارة إلى أن المهم في هذه الدراسة هو دراسة هذين المصطلحين من الجهة الاجتماعية، والذي فيها لا يختلف الأمر من ناحية تبعية التغيير الاجتماعي لأي تغيَّر حاصل في قِيَم المجتمع أو عاداته بصرف النظر عن المسار، فقد يكون تغيُّراً في المسار الصحيح أو الخاطئ، فإن كان التغيُّر في الاتجاه الصحيح كان وظيفة المُغيِّر تهيئة المجتمع لقبوله. وإن كان في المسار الخاطئ كان وظيفته ابتكار الآلية لحل المشكلة وتصحيحها. وقد أشار إلى مثل ذلك الدكتور: عبدالحميد حكيم، فقال: (ما الذي ينبغي علينا بعد حدوث التغيُّر؟ الجواب: لابد من التغيير، وهنا يصبح لدينا مصطلح آخر وهو "التغيير"، وبالتالي فهناك فرق بين التغيُّر والتغيير. فالتغيُّر كما قلنا سابقاً ظاهرة تلقائية لا إرادية، أما التغيير فهو عملية مقصودة الهدف، منها أمران رئيسيان هما: 1) الأمر الأول، أو الوظيفة الأولى: تهيئة الأفراد وإقناعهم بتقبل الجانب الإيجابي، وذلك من خلال توضيح الفوائد والمنافع التي ستعود عليهم من الأمر الجديد. ولا نتوقع أن هذه التهيئة تحدث في يوم وليلة، والأمثلة كثيرة منها: المثال الأول: عندما حُرِّمت الخمر، وكانت من عادات العرب في الجاهلية وجزء

[12] () انظر: المرجع السابق.

من ثقافتهم. لم تحرَّم مرة واحدة بل حُرِّمت بالتدُّرج وعلى ثلاث مراحل، والآيات هي: المرحلة الأولى: جاءت في سورة البقرة الآية (219) قوله تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ والمرحلة الثانية: جاءت في سورة النساء الآية (43) قوله تعالى: : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ... الآية﴾ ثم جاءت المرحلة النهائية وهي مرحلة الاجتناب التام والتحريم لعادة تضر بمصلحة المسلم واستئناف لحياة جديدة لا يغيب فيها العقل لحظة واحدة ليتمتع الفرد بآدميته، ويقوم برسالته التي خلقه الله من أجلها على خير وجه، ذلك بعد أن تهيأت النفوس، وذلك في سورة المائدة الآية (90) في قوله تعالى: : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ..﴾2الأمر الثاني، أو الوظيفة الثانية: علاج المشكلات المترتبة على التغيُّر، والتي تمثل الجانب السلبي ومن الأمثلة:... الخادمات: وما ترتب على ذلك من مشكلات يعيشها المجتمع تزخر بها الصُّحف وأحاديث المجالس فبعد أن كانت الزوجة تقوم بشئون زوجها وأولادها ومنزلها أصبحت الأم توكل تربية طفلها وشئون منزلها للخادمة، مما ترتب على ذلك العديد من المشكلات...–هكذا قال ثم ختم حديثه بقوله–: "ومن ثم يمكننا الخروج بخلاصة مفادها أن كل تغيُّر لابد أن يتعبه تغيير، سواء كان ذلك التغيُّر إيجابياً أو سلبياً).[13]

المطلب الثاني

دلالة التغيير والتغيُّر في الإنسان على توحيد الله

والمقصود من ذلك هو التغيير الحاصل في ذات الإنسان ونفسه من حيث شكله وطبائعه ونموه في مراحل عُمره ومأكله ومشربه والحياة من حوله وتنقلها به من الصحة إلى السقم ومن الأفراح إلى الأحزان ومن الضلال إلى الهدى ومن النوم إلى اليقظة ومن الغنى إلى الفقر. والعكس من كل ذلك، وغيرها من الأحوال المتبدلة التي يمر بها الإنسان.

حتى العبادات التي فرضها الله تعالى على الناس لكأنَّه تعالى قد راعى فيها حُب الإنسان وميوله إلى التغيُّر والتغيير.

التغيُّر في نفس وذات الإنسان:

فقد دعانا الله إلى التفكُّر في خلقها وإبداع صنعته فيها، فقال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ[14]﴾. والمتأمل يرى أنها ليس كباقي الدَّعوات، فإن فيها تعنيف يُعْرف من السِّياق على تارك التأمل والنظر الدقيق الفاحص في نفسه، يقول الألوسي: ("أفلا تبصرون" أي: ألاّ تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة. وهو تعنيف على ترك النظر في الآيات الأرضية والنفسية –قال:– وقيل في الأخير)[15]. يقصد: "أفلا تبصرون" قيل أخيراً بعد الدَّعوى للتفكُّر في الآيات الأرضية: وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ[16]﴾، وبعدها النفسية كما هو ترتيب الآيتين. والقول: "قيل أخيراً"؛ ليكون آخر عهده تعالى بهم في إبلاغهم بضرورة التفكُّر وهذا داخل في معنى قوله "قيل في الأخير". والحاصل: هو ضرورة الحرص على التفكُّر في النفس وما حواها وهو الذات والهيئة التي خُلق عليها الإنسان وقد قال ربنا: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .[17]﴾

13 ()انظر: التغيير- مفهومة، أسبابه، وأهدافه، وقادته، ومقاومته: 302.
14 () سورة الذاريات : 21

15() انظر: روح الألوسي: 375/19.
16() سورة الذاريات: 20
17() سورة التين: 4

وإذا قيل لماذا هذا التعنيف؟ قالوا: لئلا يغفل الإنسان عن المتعة في التأمل لهذا الخلق العجيب الكامن في نفسه. يقول السيد قطب: (ليقض رحلته على هذا الكوكب في ملاحظة وتديُّر وفي متاع رفيع بتأمل هذا الخلق العجيب الكامن في ذات نفسه وهو عنه غافل مشغول)[18] . وماذا يكْمُن في هذه النفس لتكون الدُّعوى للنظر إليها والتفكُّر فيها بهذا الأسلوب العنيف؟ يقول الألوسي: ("وفي أنفسكم" أي: في ذواتكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلاَّ وفي ذات الإنسان له نظير يدل مثل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظرة والتركيبات العجيبة والتمكُّن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة وآيات الأنفس أكثر من أن تُحصى. وقيل: أريد بذلك اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع. رواه عطاء[19] عن ابن عباس. وقيل: أريد بذلك سبيل الطعام وسبيل الشراب –قال: – والحق أن لا حصر)[20]. ويقول السيد قطب: (إنه عجيبة في تكوينه الجسماني في أسرار هذا الجسد عجيبة في تكوينه الروحي في أسرار هذه النفس وهو عجيبة في ظاهره وعجيبة في باطنه. وهو يمثِّل عناصر هذا الكون وأسراره وخفاياه "وتزعم أنك جرم صغير * وفيك انطوى العالم الأكبر"[21(*)].... ثم أسرار هذا الجنس في توالده وتوارثه خلية واحدة تحمل كل رصيد الجنس البشري من الخصائص وتحمل معها خصائص الأبوين والأجداد والقريبين، فأين تكمن هذه الخصائص في تلك الخلية الصغيرة وكيف تهتدي بذاتها إلى طريقها التاريخي الطويل فتمثله أدق تمثيل... ولا نظير له –أي: الإنسان– بين أبناء جنسه لا في شكله وملامحه ولا في عقله ومداركه ولا في روحه ومشاعره، ولا في صورة الكون كما هي في حسه وتصوِّره، ففي هذا المتحف الإلهي العجيب الذي يضم ملايين الملايين كل فرد نموذج خاص وطبعة فريدة لا تتكرر يمر من خلالها الوجود كله في صورة كذلك لا تتكرر كما لا توجد بصمة أصابع مماثلة لبصمة أصابع أخرى في هذه الأرض في جميع العصور... وهذه العجائب لا يحصرها كتاب، فالمعلوم المكشوف منها يحتاج تفصيله إلى مجلدات، والمجهول منها ما يزال أكثر من المعلوم، والقرآن لا يحصيها ولا يحصرها. ولكنه يلمس القلب هذه اللمسة ليستيقظ لهذا المتحف الإلهي المعروض للأبصار والبصائر) .[22]

إذن: تجلَّت قدرته سبحانه – الدالة على وحدانيته وتفرده من غير شريك في خلق هذا الكائن العجيب – بأن جعل هذا العالم الكبير في ذاك الجرم الصغير أنه الإنسان؛ فعناصره مثَّلت كل عناصر هذا الكون العظيم أدقَّ وأحكم تمثيل، ومعلوم أن عناصر الكون الوسيع متغايرة متحركة والإنسان مرآته في المغايرة والحركة وليس التغاير فيما بينه ونظرائه من بني البشر، فحسب. بل التغاير حادث في الذات الواحدة منهم بدليل التكاثر الحاصل في خلايا جسمه وتجددها ومن علامة هذا التكاثر النمو الجسماني الحاصل في

18 () في ظلال القرآن: 31/7.

19() هو: عطاء بن أبي رباح –بفتح الراء والياء المعجمة بواحدة-، ولد سنة "27هـ". توفي –رحمه الله- سنة "114هـ".
تاريخ دمشق: 411/366/40، ابن حبان. الثقات: 198/51-199.

20() تفسير الألوسي: 375/19.

21 (*)بيت الشعر هذا ؛ نسبه الامام الالوسي إلى أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب –رضي الله عنه، وكرَّم الله وجهه – في أكثر من موضع في تفسيره: 53/1 – 13/23.

ورأيت آخر، كالشيخ/ أ. د: سلمان بن فهد العودة؛ ينسبه إلى شاعر الاسلام في الهند / محمد إقبال. في كتابٍ جُمع له تحت عنوان: "دروس الشيخ سلمان العودة: 30/208. باب: الخوف وعقيدة التوحيد"، والله أعلم. أهـ

22() انظر: في ظلال القرآن: 30/7-31.

الإنسان وغيره من الكائنات الحية، يقول الأستاذ/ علي[23] بن نايف الشحود: (وخلايا أجسامنا وأجسام غيرنا من الحيوانات دائمة الانقسام قد يكون لنمو الجسم أو التعويض ما يُفْقد أو يموت من الخلايا لأسباب عديدة، وكل خلية من هذه الخلايا تتكون أساساً من مادة عجيبة نطلق عليه اسم (البروتوبلوزم) وتوجد بداخل كل خلية محتويات عديدة ذات وظائف محددة ومن هذه المحتويات أجسام دقيقة تحمل عوامل وراثية هي التي نطلق عليها اسم (الكروموسومات) وعدد هذه الكروموسومات ثابت في خلايا كل نوع من أنواع الحيوانات والنباتات المختلفة فعددها في خلايا القط –مثلاً– يختلف عن عددها في خلايا الكلب أو الفيل أو الأرنب أو نبات الجزر أو الفول وفي كل خلية من الخلايا التي يتكون منها جسم الإنسان يوجد ستة وأربعون من هذه الكروموسومات وعندما تنقسم الخلية إلى خليتين داخل أجسامنا فإن كل خلية جديدة لابد أن تحتوي على العدد نفسه من (الكروموسومات) وهي ستة وأربعون إذ لو اختلَّ هذا العدد لما أصبح الإنسان إنساناً. والخلايا –كما ذكرنا– دائمة الانقسام، يحدث ذلك في جميع ساعات اليوم حتى أثناء نومنا ونحن حتى الآن ما ندرك حقيقة القوى المهيمنة على هذه العملية المذهلة –عملية انقسام الخلايا – بل يكتفي العلم بوصف خطوات العملية التي يمكن ملاحظتها تحت عدسات (الميكروسكوب) العادي... إن جميع الخلايا الناتجة عن عمليات الانقسام في جسم الإنسان لابد أن تحتوي –كما ذكرنا– على ستة وأربعون كروموسوماً، فيما عدا نوعين من الخلايا، هما الخلايا التناسلية أي الحيوان المنوي في الذكر والبويضة في الأنثى، إذ عندما تنقسم خلايا الأنسجة لتكوين هذه الخلايا التناسلية فإنها تنتج خلايا لا تحتوي على الستة والأربعون كروموسوماً بل تحتوي على نصف هذا العدد أي يصبح في كل خلية تناسلية ذكرية أو أنثوية ثلاثة وعشرون كروموسوماً فقط".[24]

هكذا قال فأفهم: أن الخلايا في أجسامنا تنقسم لغرض النمو وهذا الانقسام يكون بسبب التزاوج يحصل داخل الخلية الواحدة فتنقسم إلى خليتين في كل منهما نفس عدد الكروموسومات التي كانت في الخلية الأم (46) وهذا كله حاصل في الجسم الواحد؛ لذا فإن الخلايا التناسلية هي الوحيدة في جسم الإنسان يكون عدد كروموسوماتها نصف ما على الآخر غير التناسلية؛ لأن الخلايا التناسلية ينتج عنها كائن خارجي أو جسم آخر وهو الجنين أو المولود القادم والذي هو نتاج لصورة جديدة من بني الإنسان؛ بسبب التزاوج بين طرفين متقاربين هما الذكر والأنثى خلافاً للتزاوج الحاصل في الخلية الواحدة وفي الجسد الواحد؛ لأن وإن كان فيه نتاجاً لكن علاقته النمو –الجسدية– لا نتاجاً لصورة جديدة من بني الإنسان.

وعليه: فإن النتاج الجديد –سواء كان علاقة النمو في الجسد الواحد أو صورة جديدة– هو من أدلَّ الدلائل على أن الحركة هي الحياة والسكون هو الموت. إنها سنة من سننه تعالى أجرى عليها الكون كله ولو كانت من عند غير الله لوجدوا فيها اختلافا كثيرا يقول الحق سبحانه﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ[25]﴾. يذكر ابن كثير عند هذه الآية ما رواه أحمد

[23] ()هو: علي بن نايف الشحود. ولد سنة "1956م". أشهر كتبه: ((حياة خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها)). و((زبدة الإسراء والمعراج)). موقع: ويكيبيديا الموسوعة الحرة. السيرة الذاتية. الباحث في القرآن والسُنَّة: علي بن نائف الشحود.

[24] ()انظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام: 3/212-213، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود.

[25] ()سورة الحج: 5

[26] من حديث أبي رزين العقيلي –واسمه: لقيط بن عامر رضي الله عنه– أنه قال: يا رسول الله أكلنا يرى ربه عزوجل يوم القيامة؟ وما آية ذلك في خلقه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أليس كلكم ينظر إلى القمر مُخْلياً به؟ "قلنا: بلى. قال: "فالله أعظم". قال: قلت: يا رسول الله: كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك في خلقه؟ قال: "أما مررت بوادي أهلك محلا "قال: بلى. قال: "ثم مررت به يهتز خَضِراً؟". قال: بلى. قال: "فكذلك يحي الله الموتى. وذلك آيته في خلقه"[27]. ويقول عندها نظام الدين النيسابوري[28] : (تحركت ولا يكاد يستعمل الاهتزاز إلاَّ في حركة تصدر عن سرور ونشاط.."[29].

ولنتأمل كيف استحالت الأرض الجامدة كائناً حياً بلمسة واحدة في لفظة واحدة "اهتزت" وكأنها ذاك الكائن الحي الذي أخمد الظمآن أنفاسه حتى إذا مسَّ الماء أحشاءه عادت إليه الحياة وانبعث فيها النشاط. إنه التصوير القرآني على اللوحة الصامتة فيبث فيها الحياة ويحولها إلى منظر حي متحرك فهو لا يكاد يعبِّر بالصورة المتخيِّلة عن المعنى الذهني أو الحالة النفسية حتى يرتقي بالصورة التي رسمها فيمنحها الحياة النابضة والحركة المتجددة.[30]

وفي قصة أصحاب الكهف أعظم الدلائل على أن الحركة والتغيير هي الحياة. وبيان ذلك بما يلي:

أولاً: قال تعالى﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ[31]﴾.يقول الإمام الثعلبي: (تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة وجارية لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتغيِّر ألوانهم وتبلى ثيابهم وإنهم في متسع –أي: الكهف– منه ينالهم فيه برد الريح ونسيمها وتنفي عنهم كربة الغار وغمومه..)[32] فما كانت الشمس لتحفظهم لولا أن الله سبحانه كتب عليها ذاك الميلان عنهم والانقراض وهو: الترك طلوعاً وأفولاً وجعلها جارية عليهم على هذه العادة طول مكثهم في الكهف ولو كانت جامدة لهلكوا وهلكنا جميعاً من بعدهم.

ثانياً: قال تعالى﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ.[33]﴾

قضى ربنا سبحانه بتقليب أجساد فتية الكهف وتغيير المواضع الملاصقة للأرض، تارة نحو اليمين وأخرى نحو الشمال لئلا تأكل الأرض لحومهم. فلو أنهم لا يُقلَّبون لأكلتهم الأرض، قاله الحبر ابن عباس رضي الله عنهما[34] . ولم أقف على من خالف رأيه رأي ابن عباس في هذا التعليل سوى العلاَّمة الفخر الرازي[35]. –رحمه الله– فرأيته يقول: (وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فائدة تقليبهم لئلا تأكل الأرض لحومهم ولا تبليهم –قال: – وأقول هذا عجيب؛ لأنه تعالى لمَّا قَدَرَ على أن يمسك حياتهم مدة ثلاثمائة سنة وأكثر فَلِمَ لا

---

26 ()هو: أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن أدريس الشيباني الذهلي، أبو عبدالله. ولد سنة "164هـ" توفى سنة "264هـ". أشهر كتبه: ((المسند)) ، ((المقدَّم والمؤخر في القرآن)) ، ((المناسك)) ، (تاريخ بغداد: 412/4-422، تقريب التهذيب: 309/1).

27 ()انظر: تفسير ابن كثير: 398/5. والحديث المذكور عزاه ابن كثير لأحمد من طريق أبي رزين العقيلي –رضي الله عنه- وهو كذلك في "المسند: 111/26-112، رقمه (16192).

28 ()هو: الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، الشهير بـ"ابن القمي"، توفي بعد سنة "850هـ". أشهر كتبه: ((غرائب القرآن ورغائب الفرقان)). ويسمى بـ"تفسير النيسابوري"، ((لب التأويل)). (بغية الوعاة: 525/1، الأدنروي: طبقات المفسرين: 4250/1).

29 ()انظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: 66/5.

30 ()الواضح في علوم القرآن: 171/1- باب: (أ) مظاهرة.

31 ()سورة الكهف: 17

32 ()تفسير الثعلبي: 159/6.

33 ()سورة الكهف: 18.

34 ()تفسير ابن جرير: 624/17.

35 ()هو: محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي، التيمي البكري، أبو عبدالله، ولد سنة "544هـ" توفي في سنة "606هـ". صاحب التصانيف، أشهرها: ((مفاتح الغيب)) في علم التفسير، ويسمى بـ"التفسير الكبير" و"تفسير الرازي".
تاريخ الإسلام: 137/13، السبكي. طبقات الشافعية الكبرى: 80/8، وفيات الأعيان: 294/4، نثل النبال بمعجم الرجال: 505/4.

يقدر على حفظ أجسادهم أيضاً من غير تقليب؟؟!!) [36]. هكذا قال، وتبعه أبو حيان[37] . فكان قولهما مخالف للسُّواد الاعظم من المفسرين، الذين قضوا فيها بما يتعيَّن منه فساد الجمود وصلاح الحركة والتغيير لكل ممن شأنه التغيُّر والتغيير. فمن ظنَّ لا يبارح مكانه نخشى بل نخاف عليه الحياة أن تأكله، والجزء من أجسادنا يَعْطَبُ إن لم نحرِّكه. والأرض الخاشعة والجُرُز لا تحيا إلا إذا اهتزت بماء ربِّها ورَبَت.

ينضاف إلى ذلك أن قول الرازي هذا لم يكن بمنأى عن مجيب، فقد قال الإمام الألوسي[38(*)]: (وقال الإمام إنه عجيب فإن الله تعالى الذي قَدَرَ على أن يبقيهم أحياء تلك المدة الطويلة، هو عزوجل قادر على حفظ أبدانهم أيضاً من غير تقليب –قال: – وأجيب بأنه اقتضت حكمته تعالى أن يكون حفظ ابدانهم بما جرت به العادة وإن لم نعلم وجه تلك الحكمة...)[39]. ومثله يقول أبو الطيب[40] محمد صديق خان: ("ونقلبهم ذات اليمين..." أي: نقلبهم في رقدتهم إلى الجهتين لئلا تأكل الأرض أجسادهم ولحومهم قاله سعيد بن جبير[41] –قال– وتعجَّب منه الإمام الرازي، وقال: إن الله قادر على حفظهم من غير تقليب. ولقائلٍ أن يقول: لا ريب في قدرة الله تعالى، ولكن جعل لكل شيءٍ سبباً في أغلب الأحوال....).[42]

وهذا التقليب لم يكن للفتية فقط بل شمل كلبهم أيضاً. قال ملاَّ حويض[43] آل غازي عبدالقادر: (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد" :عتبة باب الكهف ومحل غلقه لو كان له باب يغلق كالحارس لهم من العوام وغيرها يُقلَّب معهم أيضاً مفتوحة عيناه...)[44]. وهذا معقول جداً. وبه قال ابن كثير[45] ، وغيره من المفسرين الثقات؛ لأنه من جملة الأحياء وإلا لَمَا كان لتقليبهم معنى، فالحركة علامة الحياة ولا ينتفع بها إلا الأحياء. والسكون والجمود علامة الأموات؛ ولا ينتفع الميت بالتحريك أو تغيير مواضعه؛ لأجل ذلك لم يصنع الله تعالى ذلك مع صاحب القرية؛ لأنه ميت قال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ[46]﴾... من غير تغيير أيّ شيء في هيئته وصورته وإلاَّ لَمَا قال: "لبثت يوماً أو بعض يوم"، وكذا طعامه وشرابه وقد قال الله: : ﴿فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾. قال ابن منظور: (وسَنِه الطعام والشراب سنهاً وتسنَّه: تغيَّر. وعليه وجَّه بعضهم قوله تعالى: "فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه" والتسنُّه: التكرُّج الذي يقع على الخبز والشراب، وغيره. تقول منه خبز متسنِّه. وفي القرآن "لم يتسنه": لم تغيُّره السنون..." ويقول ابن جرير: ("لم يتسنَّه" يقول: لم يتغيَّر)؛ لأن الأصل فيه أن يتغيَّر كالحمار فقد أسن إذا مات بعروقه وأعصابه وصار أثراً بعد عين وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد)(47) . فكان

36 () تفسير الرازي: 2896/1.
37 () ذكر ابو حيان في تفسيره: (البحر المحيط: 105/6) .
38 (*)لعله أراد بقوله : "الامام هو: الفخر الرازي أو ابن حيان.
39 () تفسير الالوسي: 178/11.
40 () هو: محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب. ولد سنة "1248هـ". توفي سنة "1307هـ"، أشهر كتبه: ((فتح البيان في مقاصد القرآن)). في التفسير. معجم المؤلفين: 90/10، الاعلام: 167/6-168.
41 () هو: سعيد بن جبير بن هشام، الكوفي الاسدي، الوالبي مولاهم، يكنى: بأبي عبدالله، توفي سنة "95هـ". الدولابي. الاسماء والكنى: 819/2، ابن الوفيات. قنفذ: 101/1، تهذيب الاسماء واللغات: 302/1، تهذيب التهذيب: 12/4، تقريب التهذيب: 234/1 .
42 () فتح البيان في مقاصد القرآن: 24/8.
43 () هو: الشيخ عبدالقادر بن مُلاَّ حويص، السيد محمود الغازي الفراتي الديرزوري العاني. ولد عام "1880م"، توفي سنة "1978م". من آثاره العلمية: "بيان المعاني".
44 () بيان المعاني: 167/4.
45 ()تفسير ابن كثير: 144/5.
46 ()سورة البقرة: 259
47 () لسان العرب: 501/13. حرف الهاء. باب: سنه. وانظر: كلام ابن جرير في تفسيره : 454/5.

عدم وقوع التغيُّر على ذاته وطعامه وشرابه وجه من وجوه الإعجاز ولو أجرى عليها سننه لما صار إعجازاً.

فالحاصل: أن أصحاب الكهف انتفعوا بالتقليب؛ لأنهم كانوا أحياء كما هو في صريح القرآن فقد وصفهم تعالى بالراقدين ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ[48]﴾ والرُّقاد: النوم الثقيل وليس النوم المجرد، أي: من الثُّقل. فهو شرط فيه ليكون رُقاداً. وقد عبَّر القرآن عن ذلك فقال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ[49]﴾... يقول البعض: (أي ضربنا على آذانهم الحجاب تشبيهاً للإنامة الثقيلة المانعة من وصول الأصوات بضرب الحجاب عليها...)[50] والشاهد هنا، هو قوله: "الأنامة الثقيلة المانعة...". فأفهم: زيادة معنى في الرُّقاد عن مجرد النوم، وقد أخطأ من سوَّى بينهما؛ لأنه مخالف لعُرف القرآن، يقول أحدهم عند تفسير هذه الآية: (فإن بعضهم يقول: عُرف القرآن أن الرُّقاد أشد من النوم. قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ(51)﴾، وقال ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا[53]﴾[52]، والفرق واضح فتأمل.

ثالثاً: الأصالة وأهمية عملية التغيير: فقد تكفَّل الله تعالى بنفسه أمر تقليب فتية الكهف. وفيه: علو شأنهم ومزيد اعتناء منه سبحانه بأمرهم، الجزآء من جنس العمل، فقد باعوا أنفسهم ودنياهم لله[54](*). فجازآهم بأن منع الواسطة بينه وبينهم فقال: "ونُقلِّبهم" هكذا بصيغة المعظِّم نفسه. وبها قرأ عامَّة قُرَّاء الأمصار، قال السمين الحلبي: (قرآءة العامة "نقلبهم" مضارعاً مسنداً للمعظم نفسه....)[55] . والمعنى على هذه القرآءة، أي: أنا الله من يقلبهم يميناً وشمالاً. قال بعضهم: (وفي قرآءة الجمهور "ونُقلِّبهم" بالنون، مزيد اعتناء الله بهم حيث أسند التقليب إليه تعالى وأنه هو الفاعل ذلك. "وهذا هو الظاهر من كلام المفسرين". قاله أبو الطيب خان عند هذه الآية ولم يقدِّم عليه غيره، فقال: (وظاهر كلام المفسرين أن التقليب من فعل الله. ويجوز أن يكون من مَلَكٍ بأمر الله فيضاف إلى الله تعالى[56]. والواقف هاهنا على كلام المفسرين يجد صحة ما قال. فبعضهم قالوها صراحة بالمنطوق كما قال ابو حيان. وآخرون قالوها بالمفهوم يفهمُ من السياق.

ولا يقف الأمر عند ذلك، ففي قول البعض: (يتقلبون بإرادة الله تعالى إلى اليمين وإلى الشمال...)[57] زيادة معنى على مجرد الإسناد إليه سبحانه وهي المذكورة في قول آخر: ("ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال". هذا إخبار عن حُسن إيوائه لهم، فلا كشفقة الأمهات بل أنتم لا كرحمة الآباء بل أعز...)[58] . فهذا التغيير والتقليب لمواضع أجسادهم ليس هو مجرد فعل أسنده الله تعالى لنفسه فحسب بل هو فعل مصبوغ بالمحبة وهو المفهوم القادم من "الإرادة" – فيما تقدم– وقد قال الله: ﴿يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ[59]﴾. أما مجرد الفعل فمن أفعال الله خلق الإيمان والكفر والماء والخمر.

---

48 ()سورة الكهف: 18

49 ()سورة الكهف: 11

50() تفسير الشوكاني: 388/3.

51 ()سورة القلم: 19

52 ()سورة يس: 52

53 ()تفسير ابن عرفة: 82/3.

54 (*)فقد تواترت الروايات التاريخية بأن فتيه الكهف كانوا أصحاب نعمة ومال. انظر: على سبيل المثال "تفسير الخازن: 153/3-154-159/3".

55 ()الدرر المصون: 3057/1".

56() فتح البيان: 24/8.

57() زهرة التفاسير: 405/9،

58() تفسير القشيري: 340/4".

59 ()سورة البقرة: 185

رابعاً: إن مسبب الأسباب جعل كثرة تحريكهم وتقليبهم يميناً وشمالاً سبباً في بقائهم أحياء، ولولا ذا لهلكوا.

علماً بأن القول في تقليبهم بالكثرة مخالف لقول السلف الصالح من الصحابة والتابعين، فقد ذُكر من مأثور ابن عباس رضي الله عنهما عند هذه الآية، أنه قال: "ستة أشهر على ذي الجنب وستة أشهر على ذي الجنب"[60]. وعندها أيضاً ذُكر من مأثور ابن عياض [61] أنه قال: "في كل عام مرتين"[62] وعن مجاهد عند ابن أبي حاتم أنه قال: "في التسع سنين ليس فيما سواها". يريد: التسع التي ازدادوها فوق الثلاثمائة، فيها فقط كان تقليبهم. وعن قتادة عنده أنه قال: "كانوا يقلبون في كل عامٍ مرة". واشتهر القول عند المفسرين بالتقليبتين أو المرتين في العام الواحد من قول أبي هريرة رضي الله عنه[63] ، ولم أقف عليه في كتب المأثور إلا من قول البغوي في تفسيره[64] ، ولم يذكره مسنداً لا في مقدمة كتابه، ولا في الموضع الذي ذكر فيه هذا الأثر[65] . أهـ

وعلى كل حال: فإن الشاهد مما تقدم، هو: قِلّة تقليبهم، وهو جلي ظاهر، في أقوالهم لا يحتاج إلى نظر. والتوجيه السابق لمعنى الآية بكثرة التقليب لم يكن بدعاً من القول، فبه قال الكثير من أهل التفسير.[66]

والخلاف بين القلة والكثرة منشأه قديم، وقد قال الإمام الفخر: (واختلفوا في مقدار مُدَّة التقليب...)[67] واختيار الكِثْرة مبني على سبب واحد فقط، وهو: القول بالقلة لا دليل عليه من جهة النقل؛ إذ لو ورد عن كتاب الله، أو صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر في ذلك؛ للزم الأخذ به، وفُضَّ الإشكال.

على أن امتناع الدليل النقلي من أكبر الدلائل على صحة الدليل العقلي، وهو ذو وجوه، سيأتي بيانها.

وما أدري إلى أيٍّ من الدليلين أشار الامام الشنقيطي [68]– رحمه الله– بقوله: (وكلام المفسرين هنا في عدد تقلبهم من كثرة وقلّة لا دليل عليه، ولذا أعرضنا عن ذكر الأقوال فيه)[69]؟؟!!. فإن كان مراده بالدليل، أي: الدليل النقلي –وهو الظاهر– فهذا صحيح، فخبرهم ليس له مرجع لا من كتاب، ولا من سُنَّه صحيحة، وقد قال الفخر الرازي: (ولفظ القرآن لا يدل عليه وما جاء فيه خبر صحيح فكيف يُعرف؟)[70]. ولا يقال أن الفخر الرازي أراد بذلك القولين من كثرة وقلة؛ وذلك لأنه لم يذكر قبل ذلك سوى قول أبي هريرة ومجاهد، وقد علمت مفادها، وهو: القلة. أما إن اراد الشنقيطي بالدليل، أي: الدليل العقلي، فلا أظنه قد أصاب الحق، والعجيب: أنه من المتأخرِّين من أهل هذا العصر وقد علم فيما علم من جديد العلوم

60 ()تفسير ابن ابي حاتم. رقم الاثر "13791" صفحاته غير مرقمه.

61 ()هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الخراساني الطالقاني الأصل توفي سنة "187هـ".
(تاريخ دمشق: 275/48، تذكرة الحفاظ: 180/1.)

62 ()الدر المنثور: 508/9.

63 ()كما في: تفسير الرازي: 2896/1- وتفسير القرطبي:370/10.

64 ()تفسير البغوي: 158/5.

65 ()لان هذا هو منهجه كما صرَّح هو بذلك في مقدمة تفسيره، أنظر المقدمة: 37/1.

66 ()انظر مثلاً: قول الإمام الزجاج في معاني القرآن: 274/3، والإمام الواحدي في تفسيره : 557/13، وعيرهم كثر.

67 ()تفسير الفخر الرازي:2896/1".

68 ()هو: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر بن محمد بن نوح بن محمد بن أحمد المختار الجكني الشنقيطي –نسبة إلى يعقوب الجكني الشنقيطي- المدني. المعروف بـ((إبّا ولد أخطور)) –بمدِّ الهمزة وتشديد الباء- ولد سنة "1325هـ-1905م"، توفي سنة "1393هـ-1974م". ومن أشهر كتبه المطبوعة في ذلك: ((أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)) جمع فيه بين المأثور والرأي؛ وبين التفسير وعلوم القرآن، وبين الاحكام اللغوية والفقهية.
انظر: (الاعلام: 45/6، محمد الأمين الشنقيطي. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ترجمة الإمام محمد الأمين الشنقيطي. صيد الفوائد، العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير. جمعه: د/ خالد بن عثمان السبت. من محاضرات الحرم وغيره، موقع الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي. طريق الإسلام).

69 ()أضواء البيان: 224/3.

70 ()تفسير الرازي: 2896/1.

الإنسانية وما وصلت إليه من عجائب قدرة الله تعالى – الدالة على وحدانيته في خلق العلوم الإنسانية – من علوم الطب والكيمياء وغيرها؛ كإصابة المريض الطريح بما يسمونه بـ"قرحة الفراش" لقلّة التقليب أو عدمه، وقد قال الله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ [71]﴾ –وسيأتي بيان ذلك– والأعجب من ذلك: أن هذه الحقيقة قد أدركها من تقدَّم الإمام الشنقيطي بقرونٍ من الزمان ؛ وهو : الإمام الرازي، فبعد أن ذكر قول أبو هريرة ومجاهد قال: (وأقول هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها....)[72] هكذا قال، وهو ظاهر في رفضه كلام السلف من جهة العقل.

وعليه: فإن غياب الدليل النقلي من أكبر المسوِّغات على صحة الدليل العقلي؛ ليظهر الله تعالى من خلاله عجائب قدرته في الآفاق والاستقبال ...

وما ننشده من الدليل العقلي هاهنا يمكن تلخيصه على وجوه ثلاثة على النحو الآتي:

الوجه الأول؛ اللغة: يقول البعض: ("ونقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال". والإتيان بالمضارع للدلالة على التجدُّد بحسب الزمن المحكي...)[73] . وإنما قال "بحسب الزمن المحكي"؛ وذلك لأن فترة بقائهم في الكهف وإن كانت طويلة لكنها محدودة؛ وإلاَّ فالتعبير بالمضارع يفيد التجدُّد زماناً بعد زمان، ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ إلى المضارع فقال: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً[74] ﴾؛ وذلك لإفادة بقاء المطر زماناً بعد زمان، كما يقال: "أنعم عليَّ فلان عام كذا فأروح وأغدو شاكراً له" ولو قال: "فرحت وغدوت شاكراً له" لم يقع ذلك الموقع فتدبَّر دقائقه[75]. كالحال في العدول عن الماضي في قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ إلى المضارع المنصوب [76]﴿(*) لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً[77] ﴾؛ وذلك لإفادة دوام واستمرار الابتلاء. وبالأسلوب وللغرض نفسه يذكره الحق سبحانه مُكرَّراً في ثلاثة مواضع من كتابه من سورة التوبة والفتح والصف: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ(78) ﴾. لبيان استمرار علو هذا الدين واستمراره في الظهور على كافة الأديان، وهو القول الذي عليه غالب المفسرين بأن (أل) للاستغراق في لفظة (الدين)؛ لذا: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ[79]﴾؛ فحالهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ[80]﴾ بعد أن عجزت أيديهم، أو لأنهم رأوا فيها سلاحاً أشد من جرح اليد وأنجع، أو: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ[81]﴾. فنسوا الآخرة وأخلدوا للدنيا. وأما حاله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ[82]﴾. وهذا هو الإظهار الذي كتبه الرحمن على نفسه لهذا الدين وله الحمد والمِنَّة عدد ما أحاط به علمه، فلا خوف على هذا الدين فهو ظاهر بوعد الله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ[83]﴾ وفي حديث المقداد بن الأسود يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يبقى على وجه الأرض

[71] ()سورة فصلت: 53

[72] () تفسير الرازي: 2896/1.

[73] ()التحرير والتنوير: 281/15.

[74] () سورة: الحج: 63

[75] () الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور: 103/1.

[76] (*)أي المضارع المنصوب بـ(أن) المظمرة بعد اللام في "ليبلوكم". انظر: الجدول في اعراب القرآن: 14/29.

[77] () سورة الملك: 2

[78] () سورة التوبة: 33، سورة الفتح: 28، سورة الصف: 9.

[79] ()سورة الكهف: 97

[80] () سورة الصف: 9

[81] () سورة البقرة: 96

[82] () سورة الصف: 8

[83] () سورة التوبة: 111

بيت مَدَرَ ولا وَبَر إلاَّ أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم فيدينون لها)(84) . إنما الخوف على حملة هذا الدين إن هم فرطوا كالحال في هذا الزمان فقد تخلوا عن هذا الدين خطوة خطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية وبفعل الحرب الطويلة المدى المنوَّعة الأساليب التي أعلنها أعداء هذا الدين من الوثنين والكتابيين. قال سيد قطب – رحمه الله– في معرض كلامه عند هذه الآية، وأضاف كلاماً مهمَّاً فقال: (ولكن هذه ليست نهاية المطاف. إنَّ وعد الله قائم ينتظر العُصْبة المسلمة التي تحمل الراية وتمضي مبتدئة من نقطة البدء التي بدأت منها خطوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحمل دين الحق ويتحرك بدين الله).(85)

وهذا الأمر جبلِّي في الفعل المضارع حتى وإن جاء منفياً كما في قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَهُمْ يَحْزَنُونَ(86)﴾ وفي تفسير الآية يقول البعض: (..... والمراد بيان انتفائها لا بيان انتفاء دوامها كما يوهمه، كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لِمَا مرَّ من أن النفي وإن دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام) .(87)

ودلالة المضارع على ذلك كثيرة في الكتاب والسُنَّة، وكلام الناس، ولكن ليس هذا وجهتنا، وإنما الوِجْهَة: في أن التجدُّد والاستمرار والدوام في: "ونُقبلِّهم" يدل على الكثرة والتكثير في التقليب لا القلة والتقليل، وهو معقول جداً خصوصاً وأن قراءة العامة بالتشديد "ونقبِلّهم". ولا شك أن في التضعيف زيادة معنى على مجرد التقليب، وعند هذه الآية يقول الألوسي: (فظاهر الآية يدل على الكثرة لمكان المضارع الدال على الاستمرار التجددي مع ما فيه من التثقيل) .(88)

ثم أني في هذه الوجهة لكأني بكلام البعض – لاتحاد العِلّة المجيزة للقياس بكلامه – عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ(89)﴾ إذ يقول: (عبَّر عن "الذبح" بالفعل المضارع المضعَّف وفي ذلك فائدتان. الأولى: إن المضارع يفيد حدوث هذا الذبح مرة بعد مرة كلما جاء موجبه وهو ولادة المولود الذكر من بني إسرائيل. الثانية: إن في التضعيف إفادة التكثير أو المبالغة في هذا الفعل) .(90)

وبهذا الوجه تسوقنا قوة وفصاحة لغة العرب – لغة القرآن – إلى وحدانيتة تعالى وتفرده بقوة الأسلوب والفصاحة والبلاغة والبيان التي أعجز بها الأقحاح من العرب الخلص ممن نزل عليهم القرآن ... وقوله تعالى (**بلسان عربي مبين**) فيه بيان منه تعالى: أن البيان ولا فصاحة لبيان الأحكام المختلفة الا بلغة العرب فقط.

84() الحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه: 91/15، رقمه (6699) باب: اخباره صلى الله عليه وسلم عما يكون في أمته من الفتن والحوادث.

85() في ظلال القرآن: 23/4 .

86() سورة البقرة: 274

87() تفسير أبي السعود: 108/1.

88() تفسير الألوسي.

89() سورة القصص: 4

90() ((انظر: ملتقى أهل التفسير "3": باب – مقالات الشيخ مساعد الطيار في ملتقى أهل التفسير: 460/10. الاستاذ المساعد بكلية المعلمين د/ مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار. أو انظر: ملتقى أهل التفسير- القسم العام- الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن –لطائف قرآنية من قصة موسى في سورة القصص. الإضافة بتاريخ 2005/10/19م)).

الوجه الثاني: السياق: قال تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ)[91]. يقول الألوسي: (ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر. كما قال غير واحد)[92] وهذا صحيح؛ فإن بعضاً من أهل التفسير علَّلوا حسبان رائيهم أيقاظاً بأن أعينهم كانت مفتوحة كحال اليقظان. وآخرون أضافوا إلى جانب ذلك سبباً آخر، وهو: تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال؛ فجعلوه علامة من علامات اليقظة. وعلى سبيل التمثيل لا الحصر يقول بعض المفسرين: ("وتحسبهم أيقاظاً": لانفتاح عيونهم، أو لكثرة تقلبهم...)[93] وبهما قال كُثر.[94]

وفيما أظن: أن المرء منَّا ليس مضطَّراً لحصر اليقظة بانفتاح العين فقط، وتجريدها من باقي صفاتها بعد أن شاهد في الواقع خلاف ذلك، بل على العكس فقد يرى الرائي يقظاً مغلق العينين –وهو حاصل لا ينكره حتى من قال بالحصر– فما دلَّه على يقظته؟ إنها علامات أخرى من حركة وقول وهيئة، وغيرها من علامات اليقظة. علاوة على ذلك: إن مثل هذا القول يحتاج التَّمسُّك به إلى دليل سمعي "نقلي"؛ لأنه من أمور الغيب، التي لا يعلمها إلاَّ الله وحده. ولم يأتنا من خبر ربَّ العالمين شيء في ذلك، ولا من خبر رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال ابن عطية: (ولو صحَّ فتح أعينهم بسندٍ يقطع العذر كان أبين في هذا الحسبان)[95]. فالظاهر أنه من أقوال أهل الكتاب وهي كثيرة في قصة فتية الكهف كتحديد موقعه وأسمائهم وعددهم واسم كلبهم ولونه وغير ذلك مما لا فائدة ولا مصلحة لنا بالعلم به. إذ لو كان كذلك لأرشدنا إليه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما تركت شيئاً يقربكم إلى الجنة ويباعدكم عن النار إلاَّ وقد أعلمتكم به)[96]. وبعد أن ذكر الخلاف بين أقوال السلف في مثل ما تقدم وكذا عدد تقليبهم يقول البعض: (لأن مثل العدد والوصف والتسمية لا يدرك بالعقل وإنما يدرك بالسمع والسمع لا يكون في مثل هذا إلاَّ عن الأنبياء أو الكتب الإلهية، ويستحيل ورود هذا الاختلاف عنها).[97]

فعُلِم أنه لا سبيل إلى ما قالوا بعد أن سكت عنه القرآن والسُّنَّة. وبالتالي: فإن الدلالة القادمة من السياق الدالة على كثرة تقليبهم؛ هي: مجيء التقليب بعد اليقظة في ترتيب الآيات؛ فكثرته في الايقاظ أظهر، يقول أحدهم: (وقيل في التفسير: أنهم كانوا مفتحي الأعين، الذي يراهم يتوهمهم منتبهين. وقيل: لكثرة تقلبهم يظن أنهم غير نيام –قال:– ويدل عليه "ونقلِّبهم ذات اليمين وذات الشمال)[98] . وقال آخر: ("ونقلبهم" معطوفة على جملة "تحسبهم" "وكلبهم باسط" معطوفة على "تقلبهم"[99]. فأفهم أن حسبانهم ذلك لكثرة التقليب؛ لأن المعطوف يتبع العاطف في العمل.

وأجاب أبو السعود عن قول الزجاج هذا؛ بعدم الملائمة، فقال: (ومدار الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر، وقيل: كثرة تقلبهم –قال:– ولا يلائمه)[100]. وبمثله أجاب الألوسي من قبله[101]. وليس

[91] ( ) سورة الكهف: 18
[92] () تفسير الألوسي: 178/11.
[93] () تفسير البيضاوي: 484/1.
[94] () انظر: كلام الإمام الشوكاني، فتح القدير، 392/3، أبو حيان: في البحر المحيط، 105/6.
[95] () تفسير ابن عطيه: 3 / 526 .
[96] () وهو من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه. ذكره البغوي في كتابه (شرح السنة: 103/14، باب: التوكيل على الله تعالى. رقمه "4111").
[97] () البحر المحيط: 105/6.
[98] () معاني القرآن : 274/3 .
[99] () مشكل إعراب القرآن: 295/1.
[100] () تفسير أبي السعود: 212/5.
[101] () تفسير الألوسي: 178/11.

المفهوم من قولهما أنهما لا يقولون بكثرة التقليب، بل يقولان به، بدليل أن الألوسي يقول: ("ونقلبهم" في رقدتهم كثيراً)[102]. وإنما قولهم بعدم الملائمة: في دلالة الكثرة على اليقظة. فربَّ يقظٍ –هم يقولون– لا يتقلَّب كثيراً، أما في انفتاح العينين دلالة قطعية على اليقظة بخلاف التقليب الكثير فهو ظني في مدار الحسبان بيقظتهم؛ لأجل ذلك جزم أبو السعود ومن قبله الألوسي: بأن الإخبار بالتقليب إخبار مستأنف جديد في أحداث القصة لا علاقة له بما قبله من الحسبان.[103]

لكن للمرء أن يتساءل: إن كانت أعينهم مفتَّحة –كما يقولون– فلم الحسبان إذاً؟!! وهي قطعية في يقظتهم؛ ولنسمع لقول ابن جرير عند الآية: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى[104]﴾. إذ يقول: ("وتحسبهم جميعاً" يعني المنافقين وأهل الكتاب، يقول: تظنهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم "وقلوبهم شتَّى" يقول: وقلوبهم مختلفة...)[105] فالحسبان إذاً، يعني: الظن . و(حسب) من أخوات (ظن) كما هو معلوم. فلِمَ الظن في يقظتهم لرائيهم بعد أن رأى أعينهم مفتحة؟ هذا –والله أعلم– من يستحق الوصف بعدم الملائمة لا التقليب الكثير، وسيأتي في الوجه الثالث: أن انفتاح العينين لا يلائم بقاءهم أحياء من الناحية الطبية، فكيف وقد ظلَّوا أحياءً لما يزيد عن ثلاثة قرون من الزمان؟؟!!، وبهذا يكون الذي تمسَّكوا به مردود ليس من جانب أن لا سند له، فحسب. بل من جانب الدراسات والأبحاث العلمية الحديثة.

وعليه: فإن مدار الحسبان في الآية –كما أظن– يكون لكثرة تقلبهم لا لعيونهم المفتَّحة، والله أعلم ...

وبهذا يتبين أن السياق والتنسيق الذي تكلم الله به في كتابه كان سببا مهما في البيان وإيصال العلم من غير ريب ولا ارتياب. وكذا سببا مهما في الحفاظ على الوحدة الفكرية في مواضيع القرآن الكريم الذي هو كلام الله الكليم.. ولو كان من عند غيره لوجدنا فيه اختلافا كبيرا وكثيرا ... سبحان رب الكليم الكريم المبارك..

الوجه الثالث: الطب: وفي دلالة هذا الوجه على كثرة تقلبهم، يقول البعض: (إن من الإصابات الشائعة والصعبة العلاج التي تعترض الأطباء الممارسين في المشافي هي مشكلة حدوث "الخشكريشات" أو ما تسمى بـ"قُرحة السرير Bedsor" عند المرضى الذين تضطرهم حالتهم للبقاء الطويل في السرير كما في كسور الحوض والعمود الفقري أو الشلل أو حالات السُّبات الطويل، والخشكريشات هذه عبارة عن قُرْحات وتموُّت في الجلد والأنسجة التي تحت الجلد بسبب نقص التروية الدموية عند بعض مناطق الجلد نتيجة انضغاطها بين الأجزاء الصلبة من البدن ومكان الاضطجاع، وأكثر ما تحصل في المنطقة العجزية والإليتين وعند لوحَيْ الكتفين وكعبَيْ القدمين، ولا وقاية من حدوث هذه الخشكريشات سوى تقليب المريض بحيث لا يبقى بدون تقليب أكثر من (12) ساعة – قال– وقد تكون هذه هي الحكمة من تقليب الله عزوجل لأهل الكهف لوقايتهم من تلك الإصابة، وإن كانت قصة أهل الكهف كلها تدخل في نطاق المعجزة).[106]

وقد كان البعض في معرض لآراء المفسرين في قصة أهل الكهف فذكر من قائلٍ بقلَّة التقليب وكثرته، ومدار الحسبان أهو على عيونهم أم على كثرة التقليب، ونسب كل قولٍ لصاحبه كما تقدَّم، ثم قال: (ذكر بعض

[102] () المصدر السابق.
[103] () انظر: المصدر: ص:179. وكذا تفسير أبي السعود: 213/5.
[104] () سورة الحشر: 14
[105] () تفسير ابن جرير: 23 / 292 .
[106] ()أنظر: مع الطب في القرآن الكريم. تأليف: د/ عبدالحكيم دياب- د/ أحمد قرقوز. أخذاً عن موقع http.www.ebnmaryam.com

المفسرين بغير سند من نص قرآني أو حديث شريف أن أصحاب الكهف كانوا يتقلبون في العام مرة أو مرتين –قال: – والعلم الحديث يقول العكس تماماً. إذ يقول أستاذ علم النفس السويسري "ألكسندر بوربلي" في كتابه ("secrets of sleep" "أسرار النوم") وتحديداً في الصفحة رقم "251": "والنوم يكون عميقاً في البداية، ولكنه يصبح سطحياً بدرجة أكبر كلما انقضت الساعات. وهذه الظاهرة نفسها تنعكس في حقيقةٍ نشاهدها، وهي: أن النائم يُغيِّر أوضاعه بمعدل تكرار أكبر كلما زادت الفترة التي قضاها في النوم طولاً! "ما بالنا إذاً بمن ناموا ثلاثمائة سنين وازادوا تسعاً؟ كيف يكون معدل تغيير أوضاعهم أثناء نومهم؟ أي: كيف يكون معدل تقلبهم ذات اليمين وذات الشمال؟ لابد أنه كان معدلاً مرتفعاً جداً)[108] . هذا فيما يخص التقليب، وعن مدار الحسبان في الآية وعودته إلى انفتاح أعينهم يقول: (بالنسبة إلى ما ذهب إليه بعض المفسرين في تفسيرهم لقوله تعالى: "وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود" بأن ذلك حدث لبقاء عيونهم مفتَّحة وأن ذلك أبقى للعين –قال: – لا يؤيده العلم الحديث أبداً، كما أن النص لم يذكره، فالعين على العكس من الأنف والأذن، تغلَّق عندما ننام. وكما أخبرني أ.د/ طارق عبده مصطفى–أستاذ طب العيون–: "أن ذلك يجدد خلايا العين، وأن بقاء العين مفتوحة فترات طويلة يعرضها للجفاف ولذلك تَرْمِش عيوننا، ناهيك عن تقرُّح القرنية". وكلنا يعلم أن الفراعنة في تحنيطهم لمومياتهم كانوا ينتزعون العين؛ لأنها أول الأعضاء المعرَّضة للتلف. وأصحاب الكهف كانوا في موقع جبلي تكثر فيه الأتربة، فإذا كان الله قد ضرب على آذانهم المفتَّحة أصلاً، فمن باب أولى أن تغلَّق عيونهم على الأقل لأغلب الفترات).[109]

إذن هو تقلُّب شديد يحدث للنائم أثناء نومه خصوصاً إذا قاربت صحوته، والعكس لا يؤيده العلم الحديث، يضيف البعض: (فلو راقبنا إنساناً نائماً لوجدناه يُغيِّر استلقاءه ثماني وثلاثين مرة في الليلة الواحدة)[110] . قاله في معرض حديثه عن الآية: "وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود..." ونسبه في مطلع كلامه للعلماء والأطباء. وأما عن أعينهم المفتَّحة فهو قول ابتدعه الكلبي[111] . وقفت عليه فقط عند البغوي في التفسير، ولم يقلِّده سوى قلة من المتأخرِّين. والظاهر: أنهم ما قالوه إلا ليفسِّروا به "الرعب" الوارد في الآية: (وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً [112]). وقد قال أبو السعود عندها: (ذلك ما ألبسهم عزوجل من الهيبة والهيئة. كانت أعينهم مفتَّحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم، وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم).[113]

ويستخلص مما تقدم: ان كل المؤشِّرات –من خلال الوجوه المذكورة سواء اللغوية أو سياق الآيات أو الناحية الطبية– تشير الى انه لا مجال لما قالوا من

---

107 (*) هو: عالم نفس سويسري، مدير مختبر "النوم" في معهد "الفارماكولوجي" في جامعة "زيرونخ". واستاذ علم العقاقير في كلية الطب في نفس الجامعة. ويُعُد من أشهر الباحثين على المستوى العالمي في مجال النوم والأحلام.
ذكر هذه الترجمة د/ أحمد عبدالعزيز سلامة، وهو من ترجم كتابه "اسرار النوم"- المشار إليها أعلاه- إلى العربية فذكر ذلك عنه في نهاية كتابه المترجم، تحت عنوان: "المؤلف في سطور".
أنظر: ((موقع -163- أسرار النوم. Pdf-Aljaouzia")) تنبيه: على الباحث عن هذا الموقع في جوجل، إدخال كلمة "الكسندربوربلي".

108 () انظر: الاعجاز الغيبي والتاريخي: 3-4. هيئة نوم أصحاب الكهف والعلم الحديث.

109 () المصدر السابق: الاعجاز الغيبي والتاريخي: ص 3 – 4 .

110 () موسوعة النابلسي للعلوم الانسانية –التفسير المطوَّل سورة الكهف: تفسير الآيات من: ص10" – كرامة الأولياء: ص6. لفضيلة الدكتور/ محمد راتب النابلسي- تاريخ الاظافة: 1987/10/3 .

111 () هو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث بن عبدالحارث بن عبدالعزى، الكلبي، أبو النضر الكوفي وله كتاب ((تفسير الآي الذي نزل في أقوام بأعيانهم)) و((ناسخ القرآن ومنسوخه)). متهم بالكذب. من الطبعة السادسة. توفي سنة "146هـ".
((ابن سعد. الطبقات الكبرى: 358/6، تهذيب الكمال: 246/25)).

112 () سورة الكهف: 18

113 () تفسر ابي السعود: 5 / 213 .

قلة التقليب أو مدار الحسبان في يقظتهم على انفتاح العينين، بل جميعها يشير: إلى كِثْرة التقليب، وهو الذي عليه مدار حسبانهم في يقظتهم..

فمن سن هذه السنن وخلق هذه العلوم للإنسانية؟؟ ... إنه الله تعالى وحده لا شريك له في خلقها وتسخيرها وإخراجها من الظلمات إلى النور ...

وما كان لهذا العَرْض أن يطول في هذه المسائل؛ لولا تعلُّقها بسنة التغيُّر والتغيير الالهي في هذا الوجود؛ لأفادته الكثرة على الدوام والاستمرار، وكذلك هو الحال في سُنَّة الله تعالى في التغيُّر والتغيير. الدَّالة قطعاً على أصل الأصول ومبدأ المبادئ: وحدانية الصانع لهذا الكون العظيم، والله أعلم.

المراجع

[1] [الإبانة – الأشعري] الكتاب: الإبانة عن أصول الديانة، المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، الطبعة الأولى، 1397، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، عدد الأجزاء: 1

[2] [التعريفات – الجرجاني] التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، 1405، تحقيق: إبراهيم الأبياري، عدد الأجزاء: 1.

[3] [الثقات – ابن حبان]، الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر: دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395 – 1975، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، عدد الأجزاء: 9

[4] [الطبقات الكبرى – ابن سعد] ط1، الطبقات الكبرى، المؤلف: محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، الناشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: 8

[5] [النهاية في غريب الأثر – ابن الأثير]، الكتاب: النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، عدد الأجزاء: 5، مصدر الكتاب: برنامج المحدث المجاني، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

[6] [تفسير أبي السعود – أبو السعود]، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: 9

[7] [تفسير البيضاوي]، تفسير البيضاوي، المؤلف: البيضاوي، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[8] [تهذيب الكمال – المزي]، تهذيب الكمال، المؤلف: يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، 1400 – 1980، تحقيق: د. بشار عواد معروف، عدد الأجزاء: 35

[9] [طبقات المفسرين – أحمد بن محمد الأدنروي] طبقات المفسرين، المؤلف: أحمد بن محمد الأدنروي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1997، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، عدد الأجزاء: 1

[10] [طبقات المفسرين – السيوطي] طبقات المفسرين، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الناشر: مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، 1396، تحقيق: علي محمد عمر، عدد الأجزاء :1

[11] [لسان العرب – ابن منظور]، لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: 15، مصدر الكتاب: برنامج المحدث المجاني، [مرفق بالكتاب حواشي اليازجي وجماعة من اللغويين]

[12] [لسان الميزان – ابن حجر] لسان الميزان، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات –

بيروت، الطبعة الثالثة، 1406 – 1986، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، عدد الأجزاء: 7.

[13] إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : 1250هـ)، المحقق : الشيخ أحمد عزو عناية ، دمشق – كفر بطنا، قدم له : الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر : دار الكتاب العربي، الطبعة : الطبعة الأولى 1419هـ – 1999م، عدد الأجزاء : 2، مصدر الكتاب : موقع المكتبة الرقمية، http://www.raqamiya.org، ثم تمت مقابلة الكتاب، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]، الكتاب مربوط مع طبعة قدم لها الشيخ السعد والشثري

[14] أرشيف ملتقى أهل التفسير 1، أعده أبو محمد المصرى www.aldahereyah.net، أدخله للشاملة أبو زرعة حازم من أعضاء ملتقى أهل الحديث

[15] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، 1393 هـ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، 1415 هـ- 1995 م

[16] الإعجاز الغيبي والتاريخي، للدكتور/ هشام طلبه، tolba-hesham@yahoo.com.

[17] إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، سنة الولادة / سنة الوفاة 338، تحقيق د.زهير غازي زاهد، الناشر عالم الكتب، سنة النشر 1409هـ- 1988م، مكان النشر بيروت، عدد الأجزاء 5.

[18] أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، المؤلف: إسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الأنصاري النصري، أبو الوليد، المعروف بابن الأحمر (المتوفى: 807هـ)، المحقق: الدكتور محمد رضوان الداية، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، 1396 هـ - 1976 م، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

[19] الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والانساب، تأليف: الامير الحافظ ابن ماكولا، دار الكتاب الاسلامي الفارق الحديثة للطباعة والنشر خلف 60 ش راتب حدائق شبرا القاهرة.، ت: 647526، مصدر الكتاب: موقع يعسوب، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[20] البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، سنة الولادة / سنة الوفاة 794هـ، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر 1421هـ - 2000م، مكان النشر لبنان/ بيروت، عدد الأجزاء 4، مربوط مع طبعة وزارة الأوقاف الكويتية، باعتناء العاني.

[21] البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي الشوكاني، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]، أدخله إلى الموسوعة وفهرسه أخوكم أسامة بن الزهراء – عفا الله – عضو في ملتقى أهل الحديث، الكتاب مربوط بالجزء الأول فقط بغية الوعاة.

[22] البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة، المؤلف / محمد بن يعقوب الفيروزأبادي، عدد الأجزاء / 1، دار النشر / جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت – 1407، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد المصري.

[23] بيان المعاني، المؤلف: ملا حويش آل غازى عبد القادر، الموضوع: على حسب ترتيب النزول، الناشر: مطبعة الترقى، مكان الطبع: دمشق، سنة الطبع: 1382 ق

[24] تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.، تأليف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.، دار النشر: دار الكتاب العربي.، مكان النشر: لبنان/ بيروت.، سنة النشر: 1407هـ - 1987م.، الطبعة: الأولى.، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.، ملاحظات حول الكتاب: الكتاب موافق

للمطبوع كاملاً.، غير مفهرس. غير مقابل على نسخة ورقية. بل هو نفس الموجود في مكتبة التراث، قام بنسخه وإدخاله إلى الشاملة أخوكم: أبو عبد الله السني. راجياً منكم دعاءً بظهر الغيب..

[25] تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ – 2002 م، عدد الأجزاء: 16، أعده للشاملة/ مصطفى الشقيري، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو مشكول الأحاديث، ومضاف لخدمة التراجم].

[26] تاريخ دمشق، المؤلف : ابن عساكر، مصدر الكتاب : ملفات وورد من على ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع والكتاب مذيل بحواشي المحقق علي شيري].

[27] التحرير والتنوير . الطبعة التونسية، المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م، عدد الأجزاء / 30، [ترقيم الشاملة موافق للمطبوع]

[28] تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، مصدر الكتاب : موقع الإسلام، http://www.al-islam.com، [الكتاب مرقم آليا]

[29] التغيير لا يعني الجور على المبادئ الأساسية والأسس الجوهرية، د/ سلمان العودة www.islamtoday.net/salman/artshow-78-137830.htm

[30] التغيير . مفهومه. أسبابه. أهدافه قادته. مقاومته – محاضرة للدكتور/ عبدالحميد بن عبدالمجيد حكيم – جامعة أم القرى. المنتدى الرسمي للشيخ د/ محمد بن عبدالرحمن العريفي المنتدى: قسم العريفي العام – والأدبي www.3refe.com/vb/showthrea.php?+=194270

[31] تفسير ابن أبى حاتم . موافقا للمطبوع، المؤلف: الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار النشر: المكتبة العصرية – صيدا ، عدد الأجزاء / 10، تحقيق : أسعد محمد الطيب، [ترقيم الشاملة موافق للمطبوع]، ربط: عبد الله الحمراني

[32] تفسير ابن عرفة المالكى، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، دار النشر : مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس – 1986 م، الطبعة : الأولى، تحقيق : د. حسن المناعي، [ترقيم الشاملة موافق للمطبوع]

[33] تفسير البحر المحيط . موافق للمطبوع، المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي دار النشر : دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – 1422 هـ – 2001 م، الطبعة : الأولى، عدد الأجزاء / 8، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض، شارك في التحقيق 1) د.زكريا عبد المجيد النوقي، 2) د.أحمد النجولي الجمل، [ترقيم الشاملة موافق للمطبوع]

[34] تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل (موافق للمطبوع)، المؤلف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار النشر : دار الفكر – بيروت / لبنان –، 1399 هـ /1979 م، عدد الأجزاء7، [ترقيم الشاملة موافق للمطبوع]

[35] تفسير الفخر الرازى . موافق للمطبوع، المؤلف: محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين ولد بالري من أعمال فارس من تصانيفه الكثيرة: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم.، عدد الأجزاء / 32، دار النشر / دار إحياء التراث العربى تنبيه، أولا: الكتاب موافق للمطبوع، ثانيا: الترقيم داخل الصفحات، ثالثا: الترقيم لذيل الصفحات وليس لأولها، رابعا: ترقيم الشاملة للكتاب آلى

[36] تفسير القشيري، المؤلف : القشيري، مصدر الكتاب : موقع التفاسير، http://www.altafsir.com، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

[37] التفسير المنير . موافقا للمطبوع، المؤلف: وهبة بن مصطفى الزحيلى، الموضوع: فقهى وتحليلى، القرن: الخامس عشر، الناشر: دار الفكر المعاصر، مكان الطبع: بيروت دمشق، سنة الطبع: 1418 ق، تنبيه [الترقيم موافق للمطبوع]

[38] تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، تأليف: الامام الحافظ شيخ الاسلام ابى محمد عبد الرحمن بن ابى حاتم محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى 327 هـ رح)، عن النسخة المحفوظة في كوبريلى [تحت رقم 278] وعن النسخة لمحفوظة في مكتبة مراد ملا [تحت رقم 1427] وعن النسخة المحفوظة في مكتبة دار الكتب المصرية [تحت رقم 892]، الطبعة الاولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – بحيدر آباد الدكن – الهند سنة 1271 هـ 1952 م، دار إحياء التراث العربي بيروت، مصدر الكتاب : موقع يعسوب، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[39] تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، سنة الولادة 773/ سنة الوفاة 852، تحقيق محمد عوامة، الناشر دار الرشيد، سنة النشر 1406 – 1986، مكان النشر سوريا، عدد الأجزاء 1.

[40] تهذيب الأسماء واللغات، للعلامة أبى زكريا محيي الدين بن شرف النووي، المتوفى سنة 676 هـ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مصدر الكتاب: ملف وورد أهداه بعض الأخوة للبرنامج، [الكتاب مفهرس كاملاً] [ترقيم الصفحات آلي غير موافق للمطبوع]، [الأبواب والفصول جميعها يسبقها ترقيم صفحاتها موافق للمطبوع]، [قام بفهرسته: أبو عبد الله السني]، [مع الرجاء بدعوة صالحة في ظهر الغيب]

[41] تهذيب التهذيب، تأليف: الامام الحافظ شيخ الاسلام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المتوفي سنة 528 هـ، الطبعة الاولى 1404 هـ – 1984 م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مصدر الكتاب: موقع يعسوب، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[42] جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، [224 – 310 هـ]، المحقق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، 1420 هـ – 2000 م، عدد الأجزاء : 24، مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، www.qurancomplex.com، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ، والصفحات مذيلة بحواشي أحمد ومحمود شاكر]

[43] الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، المؤلف: نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: 637هـ)، المحقق: مصطفى جواد، الناشر: مطبعة المجمع العلمي، عام النشر: 1375هـ، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[44] الجدول في إعراب القرآن، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق، الطبعة: الرابعة، 1418 هـ، عدد الأجزاء: 31 (30 ومجلد فهارس) في 16 مجلدا، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة تفاسير]

[45] الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، سنة الولادة 12/شعبان/773هـ/ سنة الوفاة 852هـ/ 1449م، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر 1392هـ/ 1972م، مكان النشر صيدر اباد/ الهند، عدد الأجزاء 6

[46] ديوان الإمام الشافعي.

[47] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف : شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألوسي، مصدر الكتاب : موقع التفاسير، http://www.altafsir.com، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

[48] السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم (جمعاً ودراسة) رسالة ماجستير البلد/ السعودية. مكة. جامعة أم القرى. كلية الدعوة وأصول الدين. موقع: نداء الإيمان: www.al.eman.com أيمن بن نبيه بن غنام المغربي: https://uquedu.sa>anmaghrabe>App

[49] سير أعلام النبلاء، تصنيف: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى 748 هـ 1374 م، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة 1413 هـ 1993 م، مؤسسة الرسالة بيروت – شارع سوريا – بناية صمدي وصالحة، مصدر الكتاب: موقع يعسوب، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]، قام بفهرسته الفقير إلى الله عبد الرحمن الشامي، ويسألكم الدعاء

[50] السيرة الذاتية. للدكتور/ صالح بن علي ابو عرَّاد: موقع: تربيتنا نحو تربية إسلامية واعيه، www.tarbyatona>artide>artide

[51] شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي، (الكتاب مدقق مرة واحدة)، ولادة المؤلف: 1032، وفاة المؤلف: 1089، دار النشر: دار الكتب العلمية

[52] شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سنة الولادة / سنة الوفاة 791هـ، تحقيق، الناشر دار المعارف النعمانية، سنة النشر 1401هـ – 1981م، مكان النشر باكستان، عدد الأجزاء 2*1

[53] شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، المؤلف: د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، اعتنى بها: بدر بن ناصر بن صالح الجبر، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، 1431 هـ، عدد الأجزاء: 1، الكتاب إهداء من مؤلفه – جزاه الله خيرا – للمكتبة الشاملة، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[54] طبقات الشافعية الكبرى . موافق للمطبوع، المؤلف: الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع – 1413هـ، الطبعة: الثانية، عدد الأجزاء / 10، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د.عبد الفتاح محمد الحلو، [ترقيم الشاملة موافق للمطبوع]

[55] طبقات المفسرين للداوودي، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، عدد الأجزاء: 2، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]

[56] العذب النمير في مجالس الشنقيطي في التفسير. جمعه: د/ خالد بن عثمان السبت.

[57] غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – 1416 هـ – 1996 م، الطبعة: الأولى، عدد الأجزاء / 6، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، [ترقيم الشاملة موافق للمطبوع]

[58] فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: 1412 هـ – 1992 م، عدد الأجزاء: 15، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع، وهو مذيل بالحواشي، وضمن خدمة مقارنة التفاسير]

[59] الفرق بين التغير التغيير. د/ أحمد إبراهيم خضر، شبكة الالوكة. المواقع الشخصية

50/https:www.alukah.net/web/khedr/o 474 تاريخ الإضافة: 1434/4/21هـ – 2013/3/2م.

[60] فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المؤلف : عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، المحقق : إحسان عباس، الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت ص. ب: 5787/113، الطبعة : 2 ، 1982 ، عدد الأجزاء : 2، مصدر الكتاب : موقع الوراق، http://www.alwarraq.com، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

[61] في ظلال القرآن، المؤلف : سيد قطب، مصدر الكتاب : موقع التفاسير، http://www.altafsir.com، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

[62] القواعد في اللغة العربية ومشتقاتها. مصادر الخماسي والسداسي Httb://www.Yabeyrouth.com/52 70.

[63] الكامل في التاريخ، تأليف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، دار، النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – 1415هـ، الطبعة: ط2، تحقيق: عبد الله القاضي.

[64] كرامة الأولياء: ص6. لفضيلة الدكتور/ محمد راتب النابلسي– تاريخ الاظافة: 1987/10/3.

[65] الكنى والأسماء، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، سنة الولادة 224هـ / سنة الوفاة 310هـ، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر دار ابن حزم، سنة النشر 1421 هـ – 2000م، مكان النشر بيروت/ لبنان، عدد الأجزاء 3، الكتاب موافق بفارق قليل صفحة أو نحوها

[66] محمد الأمين الشنقيطي. ويكيبيديا الموسوعة الحرة، ترجمة الإمام محمد الأمين الشنقيطي.

[67] مختصر الكامل في الضعفاء، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، سنة الولادة 766هـ/ سنة الوفاة 845هـ، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر مكتبة السنة، سنة النشر 1415هـ – 1994م، مكان النشر مصر / القاهرة، عدد الأجزاء 1

[68] المصطلح الأصولي عند الشاطبي. المؤلف: فريد الانصاري. سنة النشر: 1424هـ. 2004م.عدد المجلدات: 1. عدد الصفحات: 572. تاريخ الإضافة: 2014/2/16م. موقع المكتبة الوقفية wqfya.com/book.php?bid=8383

[69] مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين قضايا–ونماذج – ونصوص) المؤلف: الشاهد. بوشيخي/ تاريخ النشر الأصلي: 1993م. كود الكتاب: Arabi .9239. دار النشر: عالم الكتب الحديثة. تاريخ النشر: 1430هـ–2009م. بلد النشر: الأردن. المدينة: إربد. ط/ الأولى. "موقع: الباحث العلمي. .K–tb.com/book/Arbi 9239.موقع الجامعة المستنصرية. وزارة التعليم العالي. العراق. بغداد. ش/ فلسطين p.o. Box:14022 https://uomustansiriyah.edu.iq/books/ 71798.htmi

[70] مع الطب في القرآن الكريم. تأليف: د/ عبدالحكيم دياب– د/ أحمد قرقوز. أخذاً عن موقع http.www.ebnmaryam.com.

[71] معالم التنزيل، المؤلف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ]، المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، 1417 هـ – 1997 م، عدد الأجزاء : 8، مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، www.qurancomplex.com، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع ، والصفحات مذيلة بحواشي المحققين]

[72] معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب

– بيروت، الطبعة: الأولى 1408 هـ – 1988 م، عدد الأجزاء: 5، أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو ضمن خدمة مقارنة التفاسير]

[73] معجم الأدباء، المؤلف : ياقوت الحموي، مصدر الكتاب : موقع الوراق، http://www.alwarraq.com، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع].

[74] معجم المعاني الجامع. معجم عربي عربي الموقع: (المعاني). لكل رسم معنى https://www.almaahy.com/dict/ar.

[75] معجم المؤلفين، تأليف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت، مصدر، الكتاب: موقع يعسوب، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع].

[76] المغني في الضعفاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سنة الولادة 673هـ/ سنة الوفاة 748هـ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر

[77] المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام: 212/3-213، جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود.

[78] الملتقى العلمي للتفسير وعلوم القرآن –لطائف قرآنية من قصة موسى في سورة القصص.

[79] موقع –163– أسرار النوم. Pdf–Aljaouzia.

[80] موقع الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي. طريق الإسلام).

[81] موقع صيد الفوائد، [ملاحظات بخوص الكتاب]1– موافق للمطبوع كاملاً بحمد الله. 2– معنون. 3– غير مقابل. 4– سيتم العمل على إدراج حواشي الكتاب في التعليق في مرحلة قادمة إن شاء الله، تكفل بنفقة موافقته للمطبوع وعنونته أبو بلال: نزار عبد القادر ريان.

[82] نثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني، جُمع من كتب: الشيخ أبي إسحاق الحويني، جمعه ورتبه: أبو عمرو أحمد بن عطية الوكيل، الناشر: دار ابن عباس، مصر، الطبعة: الأولى، 1433 هـ – 2012 م، عدد الأجزاء: 4[ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

[83] الواضح في علوم القرآن، المؤلف: مصطفى ديب البغا، محيى الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب / دار العلوم الانسانية – دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ – 1998 م، عدد الأجزاء: 1، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي]

[84] ورقة عمل الأستاذ الدكتور/ إدريس الفاسي الفهري. "قدمت ضمن دورة: "نحو منجية للتعامل مع التراث الاسلامي. التي نظمها معهد الدراسات المصطلحية والمعهد العالمي للفكر الاسلامي. مطبعة النجاح. البيضاء. المغرب. /1 2000م